الحذف بين النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة والتّراث اللّغويّ العربيّ

The Ellipsis between transformational generative theory and Arab linguistic heritage

أ. عبد الكريم بوخضرة*

أ. حوريّة عميروش*

تاريخ الاستلام: 28-07-2020 تاريخ القبول: 02-06-2021

ملخّص: تناولتْ هذه الدّراسةُ –بعد تعريفِها للمدرسة التّوليديّة التّحويليّة_جزئيّة من أُسُسِ نظريّاتِ المدرسة التّوليديّة التّحويليّة وهي من قواعد التّحويل الذي تستخدمه وتعتمد عليه في التّحليل ألا وهو "قاعدةُ الحَذْفِ"، ثمّ قامتْ بالبحث حول هذه الظّاهرة في التّراث اللّغوي العربيّ لترى ما هو الجديد الذي أتَتْ به طرائِقُها في هذا الجانب؛ فهذه الظّاهرة تستحقُّ البحثَ نظرًا لقيمته في الدّرس اللّغوي فالبحث عن المحذوف مِن الكلام يُسهِم في إطلاق العِنان للفِكْر بحْثًا عن المعنى ويفسح المجال للتّأويل المُستَند على ضوابط وقواعد علميّة ليُزالَ الغموضُ ويُفهم المعنى بذلك، وتبيّن بعد ذلك أنّ تحليل ظاهرة الحذف بهذه الطّريقة التي تبنّتْها المدرسة التّوليديّة التّحويليّة مُتَجذِّرٌ في أعماق التّراث اللّغوي عند العرب.

كلمات مفتاحيّة: الحذف؛ النّظريّة؛ التّوليديّة؛ التّحويليّة؛ التّراث؛ العربيّ.

Abstract: This study examined partly transformative obstetrical theory foundations, which is one of conversion rules it uses and on which its analysis is based: "The Rule of Deletion" and then studied this phenomenon in the Arab linguistic heritage to see what its methods has brought as new into this process of

*جامعة الجزائر02، الجزائر، البريد الإلكتروني:bdelkrimboukhadra25@gmail.com (المؤلّف المرسل).

*جامعة الجزائر02، الجزائر، البريد الإلكتروني: houriaamir15@gmail.com

analysis. Especially, that deletion phenomenon is one of the major phenomena that preoccupied scientists since antiquity, it is clear that the analysis of deletion phenomenon by these transformative methods adopted by the theories of the traditional transformative school is rooted in the depths of Arab linguistic heritage.

Keywords: Ellipsis; Theory; Generative; Transformative; Heritage; Arabic.

مقدّمة: شَهد هذا القرن ثورات علميّة مختلفة مسّت كلّ ميادين الحياة بما فيها العلوم الإنسانيّة التي تأثّرت بهذا التّبلور والتّقدّم الكبير؛ فظهرت بذلك العديد من النّظريات اللّغويّة والمدارس اللّسانيّة شرقًا وغرْبًا بطابعها العلمي لخدمة اللّغة البشريّة التي تميّز الإنسان عمّن سواه، ونظرًا لأهميّة اللّغة في حياة النّاس أولاها العلماء عنايّة خاصّة، إذ لم يقتصر البحث فيها عند علماء اللّغة فحسب بل تعدّاه إلى غيرهم في مجالات مختلفة كعلم النّفس والأعصاب والفلسفة وغيرها من العلوم، ومن بين النّظريات اللّسانيّة التي حقّقت رواجًا عالميًّا كبيرًا النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة التي أسّس لها تشومسكي الذي استطاع بأفكاره أن يتخطّى الحدود بين اللّغات بنظرتِه العالميّة للّغة، فأردنا في هذا البحث _بعد تعريفنا لهذه النّظريّة وأهمّ أُسُسِها ومبادئها_ أن نأخذ جزئيّة من الجزئيّات المهمّة التي تعتمد عليها هذه المدرسة في عمليّات تحليلها للّغة وهي ظاهرة الحذف وننظر بذلك: كيف تعاملتْ هذه المدرسة بهذه القاعدة التّحويليّة (الحذف) في تحليلها للّغة؟، ثمّ نرى بعد ذلك: هل كانت موجودة هذه الظّاهرة في الدّرس اللّغوي العربي؟، وإن كانت موجودة فما هي نسبة حضورها فيه؟، وبالتّالي فهل أعطاها العلماء حقّها من الدّراسة؟، وإذا تناولوها بالدّراسة والبحث والتّحليل هل كانت دراساتُهم مستوفِيّة مُلِمَّةً لهذه الظّاهرة؟ أم لا يزال هناك نقص يُحتاج إلى تَكمِلَةِ فراغِه؟ وبذلك تملؤه طرائق هذه المدرسة.

المنهج التّوليديّ التّحويليّ: Transformational and Generative) Linguistics) : ظهرت النّظريّة التوليديّة التحويليّة في النّصف الثّاني من هذا القرن، وكان سائدًا قبلها في النّصف الأوّل منه المنهج الوصفي الذي أسّس له دوسوسير وحقّق به نجاحا كبيرًا، ثمّ تبلورت أفكاره بشكلٍ ملحوظٍ في أمريكا بفضل

مدرسة بلومفيلد، إلاّ أنّ تشومسكي أبى أن يدرس اللّغة بهذا المنهج الذي يعتمد على دراسة الأداء الذي هو الكلام لأنّ اهتمامَه كان مُنصبًّا بالعمليات التي تحصل في الذّهن؛ فجاء "كتابه (البنى النّحويّة Syntactic Structure) بناء على ذلك عام1957م، والذي تكمُن أهميّته في أنّه الدّستور الأوّل للنّظريّة التي جاء بها تشومسكي"[1]، ولعلّ "أهمّ ملحظ نسجّله على فكره من خلال هذه النّظريّة هو التّطوّر السّريع المستمرّ لها،"[2] فقد "مرّ هذا المنهج في مراحل عدّة، وكان من أبرز الأسباب المؤدّيّة إلى ذلك ما وُجِّه إليه من نقد يتعلّق بدراسة التّراكيب على حساب الدّلالة" [3]؛ حيث قال في تقديمه لكتابه البنى النّحويّة: "تتناول هذه الدّراسة البنيّة النّحويّة بمعناها الواسع (تمييزًا لها عن علم الدّلالة)"[4]، وأيضًا قولُه في حديثه عن النّحو والدّلالة: "فالنّظريّة التي أوجزْتُها...اعتمدتْ اعتِمادًا كلّيًّا على الشّكل دون الدّلالة، وقال أيضًا: لا أعرف أيّة محاولة مفصّلة لتطوير نظريّة البنيّة القواعديّة اعتمدتْ جزئيًّا على مفاهيم دلاليّة"[5]، وهذا التّطوّر السّريع جعل هذه النّظريّة "تحلّ محلّ المدرسة البنيويّة في دراسة اللّغة، وقد بلغت مرحلة النّضوج عام 1965م حينما نشر كتابه ((جوانب من نظريّة النّحو))"[6]، و"أدخل المعنى في نظريّته وجعله مُكوّنًا ثالثًا للنّحو يكمل المكوّنين التّركيبي والصّوتي، وصرّح بأهميّة المعنى قائلاً: ((إنّ نظريّة النّحو يجب أن تصمّم بحيث إنّ على البنى النّحويّة التي تعطي اللّغات المختلفة، وأن تدعم التّأويل الدّلالي))" [7]، وتعتبر هذه النظريّة من أهم النّظريات في هذا العصر.

ولقد اعتُبِر "تشومسكي (Noam Chomsky) واحدًا من بين ألف عالمٍ صنعوا حضارة القرن العشرين...، ويقول تشومسكي إنّه قد تأثّر بآراء المدرسة الفلسفيّة العقلانيّة التي سادت في القرن السّابع عشر والتي كان الفيلسوف ديكارت من أشهر أعلامها" [8]. ولعلّ رَغْبَتَه كانت تَكَمُنُ في تقديم نظريّة نحويّة عالميّة، ولهذا "انصبَّ اهتمامُ التّوليديّين..على صيانة قواعد عامّة يمكن أن تشمل سائر اللّغات" [9]؛ وهذا ما جعله يَصِفُ نظرته للّغة بقوله: "اللّغة مجموعة (محدودة أو غير محدودة) من الجمل، كلّ جملة فيها محدودة في طولها، قد أُنشِئت من مجموعة محدودة من العناصر، فجميع اللّغات الطّبيعيّة في صيغتها المنطوقة أو المكتوبة هي لغات بهذا المفهوم،

طالما أنّ كلّ لغة طبيعيّة لها عدد محدود من الفونيمات (الوحدات الصّوتيّة) (أو حروف الألف باء)"[10]، فهذه النّظرة العالميّة للّغة هي التي ميّزتْ نظريّة تشومسكي.

أُسُس ومبادئ النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة:

من أهمّ ما طَرَحَه فيها من أفكار وأُسُس؛ نجدُ ما يلي:

"1_ الكفايّة والأداء (القدرة والإنجاز).

2_ الحدس (الفطرة اللّغويّة).

3_ البنيّة العميقة والبنيّة السّطحيّة.

4_ قواعد التّوليد وقواعد التّحويل.

5_ القواعديّة والمقبوليّة"[11].

ويمكن أن نلخّص مفاهيم كلّ فكرة منها على النّحو الآتي:

1-**الكفايّة والأداء (القدرة والإنجاز):** اللّغة حسب تشومسكي "متكوّنة من نظام ثنائي: أحدهما: ظاهر منطوق (يمثّل الأداء).

وثانيهما: ذهني خفيّ (يمثّل: الكفايّة)"[12]، وهذا هو العنصر الذي تركّز عليه نظريّته في الدّراسة.

2-الحدس (الفطرة اللغويّة): مِن أهمّ ما يميّز هذه النّظريّة هو أنّها "تفترض أنّ: التّجربة المحيطيّة لا تلعبُ دورًا حاسما في اكتساب اللّغة، بل يتمُّ الاكتساب وفق ميكانزمات بيولوجيّة تضبط مسار تطوّر حالات الملكة اللّغويّة؛ فاكتساب اللّغة مسألة فطريّة تتمثّل في وجود بنيات ومبادئ لغويّة قائمة في العضو الذّهني الذي يتمّ به اللّغو"[13].

3-البنيّة العميقة والبنيّة السّطحيّة: هذا المنهج الذّهني يكون اهتمامُه مُنصبًّا على "الحقيقة الكامنة؛ أي أنّه يركّز على التّمييز بين الكفايّة اللّغويّة وهي "مَلَكَة" ذاتيّة تتمثّل في القدرة على إنتاج الجُمل وتفهمها في عمليّة تكلّم اللّغة وتمثّل البنيّة العميقة للكلام، وبين الأداء اللّغوي وهو الاستعمال الآني للّغة ضمن سياق معيّن، وتمثّل البنيّة السّطحيّة للكلام"[14].

4-قواعد التّوليد وقواعد التّحويل: إنّ النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة عليها "معرفة كيف يستطيع المتكلّم إنتاج جُملٍ لا حصر لها من عناصر لغويّة محدودة وأن تميّز ما هو مقبول نحويًّا ممّا ليس مقبولا، أي أنّ النّحو ينبغي أن يكون صالحا ((لتوليد)) كلّ الجمل النّحويّة في اللّغة، ومن ثَمّ عرف هذا النّحو بأنّه توليدي (generative)، والأغلب أن يقرن مصطلح التّحويلي به فيقال

(Transformational generative grammar) "[15]، والعلاقة التي تكون "بين البنيّة العميقة(Deep Structure) والبنيّة السّطحيّة (Sturface Structure) تتمّ بواسطة ما أسماه تحويلاً(Transformation)"[16]، وحتّى نصف العلاقة بين التّركيبين علينا معرفة أنّ "التّركيب الباطني (Deep Structure) يعطي المعنى الأساسي للجملة، وهذا التّركيب هو تركيب مجرّد وفرضي يتوقف عليه معنى الجملة وتركيبها بعد أن تصبح تركيبًا ظاهريًّا"[17].

5-القواعديّة والمقبوليّة: "إنّ إحدى طرق اختيار صلاحيّة نظام قواعد مقترح للغة ما هي أن نحدّد هل إنّ المتواليات التي يولّدها نظام القواعد هذا هي قواعديّة أم لا؛ أي هل إنّها مقبولة لدى النّاطق بتلك اللّغة أم لا؟"[18] فالنّاطق باللّغة بسليقته هو الوحيد الذي يدرك صلاحيّة الكلام المُستخدَم من عدم صلاحيّته؛ ف "بإمكان متكلّم اللّغة أن يدلي بإحكام حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث إنّها تؤلّف جملة صحيحة أو جملة غير صحيحة في لغته، نسمّي الجملة الصّحيحة بالجملة الأصوليّة (أي الجملة الموافقة الأصول اللّغويّة) والجملة غير الصّحيحة بالجملة غير الأصوليّة"[19]، وسنأخذ مثالا أتى به تشومسكي لنبيّن المسألة أكثر؛ "فالجملتان (1)و(2) لا معنى لهما، ولكن أيّ متكلّم باللّغة الإنـكليزيّة يعرف أنّ الجملة الأولى فقط هي قواعديّة:

(1) colorless green ideas sleep furiously

(الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدّة).

(2) furiously sleep ideas green colorless

(بشدّة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار).

...فلا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا إنّ الجملة (1) أو الجملة (2) (أو أيّ جزء منهما) لم ترد قطّ في حديث إنـگليزي...، لكنّ الجملة (1) مع كونِها خاليّة من المعنى فهي قواعديّة، أمّا الجملة (2) فليست كذلك"[20]. ويرى تشومسكي أنّ درجة المقبوليّة تختلف من تركيب لآخر؛ "وعلى هذا يمكن القول إنّ قواعديّة الجملة مستمدّة من البنيّة العميقة، التي تمثّل القدرة الكامنة أو الكفايّة، في حين أنّ درجة المقبوليّة لأيّة جملة يستمدّ من البنيّة السّطحيّة التي تمثّل الأداء الكلامي."[21]

_المراحل التّحويليّة من البنيّة العميقة (Deep Structure) إلى البنيّة السّطحيّة (Sturface Structure):

ممّا سبق فـ"إنّ تنظيم القواعد الذي يقرن الأصوات اللغويّة بالدّلالات الفكريّة والكامن ضمن الكفايّة اللّغويّة، هو إذًا ما ندعوه بالقواعد التّوليديّة والتّحويليّة"[22]؛ والمراحل التي يتمّ بها التّحويل من البنيّة العميقة (Deep Structure) إلى البنيّة السّطحيّة (Sturface Structure) تتمّ بواسطة القوانين التّحويليّة؛ ومن خلال هذا المخطّط الذي سنعرضه سيَظهرُ لنا كيفيّة التّحويل وكيفيّة "تداخل المستويات في القواعد التّوليديّة والتّحويليّة:

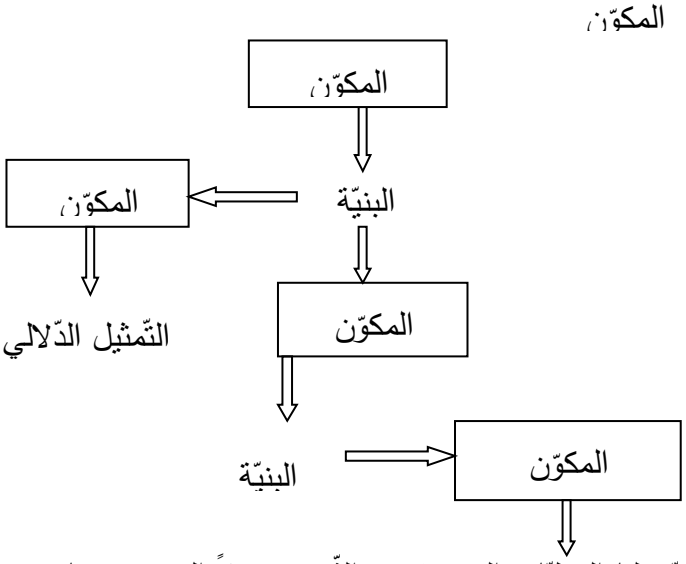

"[23] فهذا المخطّط بيّن لنا العمليّات التي تتمّ من الذّهن وصولاً إلى تجسيدها عبر الأصوات التي سيستمع لها النّاس بعد ذلك في بيئة لغويّة معيّنة.

نظرة تشومسكي الفلسفيّة للّغة: هذه الرّؤيّة والنّظرة للّغة بصفة عامّة جعلت نظريّة تشومسكي تُحدِث "ثورة علميّة فعليّة نجم عنها بروز أنموذج جديد (New paradig) للتّفكير في اللّغة، أفرز مجموعة من الإشكالات يجب أن يعتني بها اللّغويّ، وضمنها الاهتمام بالجهاز الدّاخلي الذّهني للمتكلّمين، عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي"[24]. فالمتأمّل لمبادئ هذه النّظريّة إذًا وفكر تشومسكي فيها يلاحظ تداخل الأفكار الفلسفيّة في نَظْرَتِه للغة؛ فقد يكون بالإضافة لتأثُّره بديكارت"متأثِّرا أيضا بالعالم الألماني (Müller) المتوفى 1955م، فقد ذكر في كتابه علم اللّغة أنّ الفضل في نشأة اللّغة يرجع إلى غريزة زُوِّد بها الإنسان في الأصل للتّعبير عن مُدركاتِه بأصوات مركّبة ذات مقاطع، كما زُوِّد باستعداد فطريّ للتّعبير عن انفعالاته بحركات جسميّة وأصوات بسيطة"[25]؛ وهو تقريبًا نفس ما ذهب إليه تشومسكي في تحدّثه عن الكفاءة والإنجاز، فاهتمامه كما رأينا كان منصبًّا بالبحث في ذهن المتكلّم وقد أولاهُ أهميّة أكثر من الآداء أو الكلام نفسه، وهذه النّظرة من مرتكزات النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة.

العنصر التحويلي _الحذف_ في النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة:

بعد تعرّفنا على هذه المدرسة وأهمّ مبادئها، سنتعرّف كيف تعاملت نظريّاتها مع ظاهرة الحذف في اللّغة، وبعد ذلك ننظر كيف تعامل الدّرس اللّغوي العربي مع هذه الظّاهرة، وبما أنّنا قد تعرّفنا على القواعد التّوليديّة والتّحويليّة سنرى كيف يسهم الحذف في عمليّة التّحويل، إذ إنّ هناك نوعين "من التّحويلات:

أ.التّحويل الوجوبي: وهو الذي يتمّ بنطق الجملة التّوليديّة، وبذلك تكون قد نُقلت من البنيّة العميقة إلى البنيّة السّطحيّة، وقد كان وجوبيًّا؛ لأنّه الوسيلة التي يتمّ بها الكلام.

ب.التّحويل الجوازي: ويمكن أن يتمّ هذا النّوع من التّحويل أو لا يتمّ، وذلك كالتّحويل إلى جملة الشّرط، والاستفهام، والنّداء، والتّعجّب، وغيرها"[26]، ومن أهمّ طرق التّحويل التي اعتمدتها هذه المدرسة "ما قد بيّنه تشومسكي في النّموذج المعيار وهو وجود أربعة أنواع من التّحويل هي: الحذف، والتّعويض، والإضافة، والقلب"[27] .

وبما أنّ موضوعنا هو حول ظاهرة (الحذف) في الدّرس اللّغوي سنتطرّق إليه مباشرة ونرى كيف تعاملت النظريّة التّوليديّة التّحويليّة معه: يرى تشومسكي بأنّ الحذف هو" عمليّة يمكنها إزالة عنصر فراغي فقط، أو مشكلاً بوضوح في الدّليل البنيوي"[28] وبذلك فـ"الحذف (Deletion) يتمثّل في حذف عنصر من عناصر التّركيب، دون أن يكون متضمّنا في عنصر موجود"[29]؛ فهو من عناصر التّحويل المذكورة سابقًا والتي بوساطتها تُنتَج جملٌ جديدة بعد تحويلها، فبعد حذف عنصر من عناصر التّركيب تنشأ بذلك جملة أخرى متحوِّلة من البنيّة العميقة(Deep Structure) إلى البنيّة السّطحيّة (Sturface Structure)، ولا تَتِمُّ عمليّة الحذف هذه إلاّ بواسطة قواعد معيّنة Reduction Rules؛ فـ "المتكلّم قد يميل إلى حذف العناصر المكرّرة أو التي يمكن فهمها من السّياق، والطّريقة التي يقدّمها المنهج التّحويلي في تفسير ظاهرة الحذف هي التي قدّمها النّحو العربي، فمثلاً في هذه الجملة سنجد **(حذف الصّفة المكرّرة)**:

Richard is as stubborn as our father is

يقول التّحويليّون إنّ (our father is) مأخوذة من بنيّة عميقة هي:

our father is stubborn

وذلك بقاعدة تحويليّة تحذف الصّفة المكرّرة التي هي (stubborn)"[30].

ويعبّر التّحويليّون عن الحذف "بالمعادلة الرياضيّة التّاليّة:

أ+ ب ←أ: ب⇐أ

أ+ب ←ب:أ⇐ب"[31] .

وسنأخذ مثالاً آخر، ويتضمّن حذف الفاعل؛ فعند قولنا:

Penelope hates to wash dishes"

يقولون إنّ (Penelope) في البنيّة العميقة هي الفاعل للفعل الثاني أيضا (Wash)، ثمّ حذف الفاعل عند التّحويل إلى بنيّة السّطح.

قارن هذه الجملة بجملة من مثل:

Penelope hates for David to wash dishes

إذ نجد فاعلا لكلّ فعل"[32].

سنأخذ جملة من اللّغة الإنكليزيّة أيضًا؛ ونرى كيفيّة تطبيق القوانين التّحويليّة فيها، ومن ضمن هذه القوانين نجد –الحذف–الذي هو غرضنا من هذه الدّراسة:

$$S \rightarrow NP+ \begin{Bmatrix} M\ aux \\ have \\ be \end{Bmatrix} +X$$

$$\text{الجملة} \leftarrow \begin{Bmatrix} \text{صفة المساعد} \\ \text{أو التملكية} \\ \text{أو الكينونة} \end{Bmatrix} + \text{أيّ عنصر آخر.}$$

بعد تطبيق قانون المفردات:

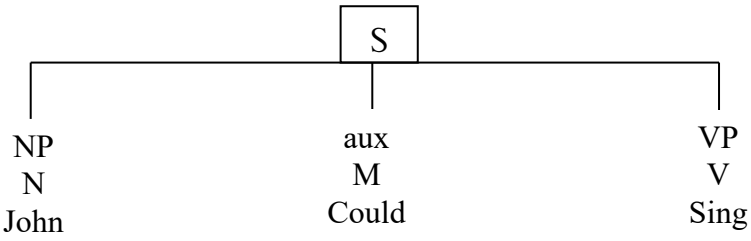

هذه الجملة تتكوّن من ثلاثة أجزاء3+2+1 وهذا هو التّركيب الأساسي لها، فَلِكَيْ (نحوّلها) إلى استفهام نستعمل القانونين التّحويليين الآتيين:

قانون إعادة التّرتيب(Permutation) بأن ننقل الجزء الثاني إلى شمال الجزء الأوّل ثمّ بتطبيق **قانون الحذف** بأن نحذف ما كان في محلّ الجزء الثّاني.

$$\underset{\text{John could sing}}{1+\ 2+\ 3} \Longrightarrow \underset{\text{Could John sing?}^{(*)}"}{2\ +\ 1+0\ +\ 3}$$

"33

وسنعرض مثالاً آخر في اللّغة نفسها ونتعرّف على كيفيّة حذف الحرف فيها، فـ "من قواعد الحذف في الإنجليزيّة **حذف الحرف** preposition قبل that، وهي قاعدةٌ تماثِل ما في العربيّة:

1_ I am certain of Dick's loyalty.

2_ I am certain of Dick's being loyal.
3_ I am certain of it.
4_ I am certain that is loyal.[34] "

من كلّ ما سبق يتبيّن لنا أهميّة دراسة الحذف في اللّغة؛ فهو من طرائق التّحويل التي اعتمدها نحاة المدرسة التّحويليّة وحتى في عنصر الدّمج الذي يُعتبَرُ من هذه الطّرائق نجده قد يعتمد على الحذف؛ "وأنسب طريقة لتحقيق ذلك، العطف بين جملتين: لذا عدَّ تشومسكي العطف أسلوبًا تحويليًّا، إذ يتمُّ إجراؤه على جملتين لتوليد جملة جديدة تتضمّن الجملتين بعد حذف العناصر المتشابهة بينهما تجنُّبًا لتكرارها"[35].

وسنأخُذُ مثالاً ذكره تشومسكي يبيّن لنا فيه كيف يكون الدّمج بين جمليتين لتوليد جملة جديدة عن طريق الحذف في بعض الحالات التي لا يؤدّي فيها الحذف إلى خَلَلٍ في معنى الجملة. يقول تشومسكي إنّ "من أكثر العمليّات المثمرة في صياغة الجمل الجديدة **عمليّة العطف**، فإذا أخذنا جملتين:

ز+س+و، ز+ص+و، وكانت س، ص من المكوّنات الحقيقيّة لهاتين الجملتين نستطيع عادة أن نؤلّف جملة جديدة:

ز_س+and+ص_و؛ مثال ذلك نستطيع أن نكوّن من الجملتين (أ، ب) جملة جديدة (ج).

(أ): The scene _of the movie_ was in chicago.
(مشهد _الفلم_ في شيكاغو).

(ب): The scene _of the play_ was in chicago.
(مشهد _المسرحيّة_ في شيكاغو).

(ج): The scene _of the movie and the play_ was in chicago
(مشهد _الفلم والمسرحيّة_ في شيكاغو)"[36]. نلاحظ إذًا كيف تمّ دمج الجملتين وتوليد جملة جديدة عن طريق العطف بينهما بإجراء عمليّة الحذف.

ظاهرة الحذف في التّراث اللّغوي العربي: بعد تعرّفنا على النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة وأهمّ مبادئها وأُسُسِها، وتطرُّقِنا لكيفيّة معالجتِها لظاهرة الحذف، ننتقل إلى الدّرس اللّغوي العربي ونتعرّف على كيفيّة معالجة علماء اللّغة القدماء لهذه الظّاهرة ونتعرّف على كيفيّة تناولهم لها بالدّراسة، فكما نعلمُ أنّ اشتِغالَ العلماء باللّغة العربيّة

قد كان كبيرا منذ القِدَم حيث اهتمّوا بظواهرها المختلفة، وممّا بحثوا فيه ظاهرة الحذف؛ وقد أخذوا في بحوثهم الأشعار والخُطَب والأمثال ولاحظوا مثلاً كيفيّة خطاب الله سبحانه وتعالى وتحدّثِه عن مخلوقاتِه في التّنزيل الحكيم فرأوْا "الله تبارك وتعالى إذا خاطب العربَ والأعرابَ أخرج الكلامَ مُخرَج الإشارةِ والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم، جعله مبسوطا وزاد في الكلام"[37]؛ فكما نرى أنّ حديث العلماء عن هذه الظّاهرة وخوضِهم فيها كان مع بدايات الدّراسات اللّغويّة عند العرب؛ وممّا جاء في ذلك ما وردَ عن صاحب الكتاب عند تحدُّثِه عن "التّثنيّة إذا لحقت الأفعال المضارعة علامةً للفاعلين لحقتها ألف ونون"[38]، فيتحدّثُ بذلك عن عدم حذف الألف "لأنّها علامة الإضمار والتّثنيّة في قول من قال: أكلوني البراغيث وبمنزلة التّاء في قلتُ وقالتْ، فأثبتوها في الرّفع وحذفوها في الجزْم كما حذفوا الحركة في الواحد، وحذفت في النّصب أيضًا ليوافق بذلك النّصبُ الجزْمَ في الحذْفِ"[39] وممّا جاء فيه أيضا حذفُ الحرفِ لدلالةٍ معيّنة؛ مثل حذف التّاء في "قوله عزّ وجلّ: ﴿**فَمَنْ جاءَهُ موعِظَةٌ مِنْ رَبِّه فانتهى**﴾ البقرة:275، وقوله:﴿**مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُم البيِّنات**﴾ آل عمران:105"[40]؛ فقد ذُكِرَتْ (الموعظة) وهي فاعل مؤنّث لفعل مذكّر وهو (جاءَ) ونفس الأمر بالنّسبة لكلمة (البيّنات)؛ ووُرودُها بهذا الشّكل في القرآن الكريم له دِلالاتُه الخاصّة التي تطرّق لها العلماء، وقد ورد في الكتاب أيضًا في باب ما ينتصب خبره لأنّه معرفة قوله: "لاهِ أبوك، تريد: للّه أبوك، حذفوا الألف واللّامين،...ومثلُه في الحذف: لا عليك، فحذفوا الاسم، وقال: ما فيهم يفضلك في شيء، يريد ما فيهم أحد يفضلك كما أراد لا بأس عليك"[41]، فكما نرى أنّه ذكر حذْفَ الحرفِ والاسم، وغيرُه كثير عند سيبويه حتى أنّ علماء اللّغة الذين أتوْا بعده يعتمدون على (الكتاب)، وقد أدرج ابن جني الحذف في باب سمّاه شجاعة العربيّة، وقال عن الحذف: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[42] فالحذف إذًا استعمَلَتْه العربُ في كلامها ولم يكن حذفًا عشوائيًّا بل كان لدى المحذوف ما يدُلُّ عليه وإلاّ لما استطاع أحدٌ معرِفَتَه لعدم وجود القرينة الدّالّةِ عليه، أمّا الجرجاني فيقول عنه: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنك ترى

به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصّمتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِن"[43]، فنرى هاهنا عَلَمًا مِن أعلام اللّغة يتحدّث عنه ويصفه بالدّقة واللّطف ويتعجّب من أمرِه لدرجة تشبيهه بالسّحر؛ ذلك أنّك تستطيع الذِّكْر ولكنّك تلجأ إلى الحذْف لا لشيء إلاّ لبلاغَتِه أكثر إذا استعملتَه في موطِنِه الذي يليق به فتزداد بذلك بيانًا وإفادةً، "وقد قيل للأصمعيّ: ما حدّ الاختصار؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد،.. وقال آخر: أحسنُ القول أوجزُه[44]، وقد أعطينا أمثلة من الحذف وردت في الكتاب لسيبويه، وهذه أمثلةٌ أخرى:

1. **حذف الجملة:** وسنقتصر في ذلك على بعض الأمثلة ممّا وردَ من كلام العرب وشِعْرِه: "نحو قولهم في القسم: والله لا فعلت، وتا الله لقد فعلت، أصلُه (أقسم بالله) فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال _من الجارّ والجواب_ دليلاً على الجملة المحذوفة"[45]. ومن ذلك **حذف الفعل وإضماره**؛ "كبيت الكتاب..

ديارَ ميّة إذْ مَيٌّ تُساعِفُنا ... ولا يَرى مثْلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

أنشَدهُ بنصْبِ (ديارَ) على إضمار فعلٍ، كأنّه قال:

أذكُرُ ديارَ ميّة" [46].

2. حذف المفرد: "وأمّا حذف المفرد فعلى ثلاثة أضرب: اسم وفعل وحرف وسنعرض فيه بعضًا من الأمثلة ممّا جاء في القرآن الكريم وكلام العرب، أمّا الفعل فنكتفي بما عرضناه في العنصر السّابق.

أ. حذف الاسم: سنذكُر فيه بعض الشّواهد والأمثلة؛ مِن ذلك:

-**حذف المبتدأ**؛ نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿**كأنَّهُم يوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعدون لم يَلبَثُوا إلاّ ساعةً مِن نَهارٍ بَلاغٌ**﴾ الأحقاف:35؛ أي: ذلك أو هذا بلاغٌ"[47].

-**حذف الخبر**؛ نحو قوله تعالى:﴿**طاعةٌ وقَولٌ معروفٌ**﴾سورة محمّد:21، فيها وجهٌ بأن "يكون أضمر الخبر فقال: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمثلُ"[48].

-"**حذف المضاف** وإقامة المضاف إليه مقامه كقوله عزّ وجلّ:﴿ **واسأل القريّة**﴾ يوسف:82؛ أي: أهلَها" [49].

–**حذف الصّفة:** "قد حذفت الصّفة ودلّت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب عن قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل؛ وكأنّ هذا إنّما حذفت فيه الصّفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التّطويح والتّطريح والتّفخيم والتّعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك" [50].

_**حذف الحرف:** وسنذكر فيه أيضًا بعض الأمثلة فقط، و"حذف الحرف في الكلام على ضربين: أحدهما حرف زائد على الكلمة ممّا يجيء لمعنى، والآخر حرف من نفس الكلمة" [51]، من ذلك: "**حذف حرف النّداء** في نحو:﴿ يوسُفُ أعرِضْ عن هذا﴾ سورة يوسف: 29، لكثرة دورانه في الكلام لغرض التّخفيف، وما قاله سيبويه عن العرب في قولِهم:(لم يك) فيحذفون النُّونَ كُلُّ ذلك يفعلونه استِخْفافًا لكثرَتِه في كلامِهم"[52] . وجاء في دلائل الإعجاز: "اعلم أنّ هاهنا بابًا من الإضمار والحذْفِ يُسمّى ((الإضمار على شريطة التّفسير))؛ وذلك مثل قولهم:

((أكْرَمَني وأكْرمْتُ عبدَ اللهِ))، أردت: ((أكْرَمَني عبدُ اللهِ، وأكْرَمْتُ عبدَ اللهِ)) ثمّ تركْتُ ذِكْرَهُ في الأوّل استِغناءً بذكْرِه في الثّاني"[53]، وأيضًا ما ذكره ابن جنيّ في ذلك عند قوله: "وقد **حذف المعطوف** تارة **والمعطوف عليه** أخرى، كقولهم:

راكب النّاقة طليحان؛ أي: راكب النّاقة والنّاقة طليحان".[(54)]

وقد يكون هذا النّوع من الحذف هو الذي استعملتْه المدرسة التّوليديّة التّحويليّة في عنصر الدّمج في المثال الذي تطرّقنا إليه سابقا.

خاتمة: رأينا إذًا كيفيّة تعامُل النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة مع ظاهرة الحذف، ورأينا أيضًا تحدّث اللّغويين العرب عن "الحذف" بأنواعه المختلفة كما أنّهم قد بيّنوا أسبابه ودلالاته وفوائده، فكانت دراساتهم مستفيضةً غزيرة في هذا الباب، والأمثلة التي ذكرناها هي مجرّد عيّنة لخدمة هذا البحث لا غير؛ فقد أرادت الدّراسة أن تُبيِّن بأنّ هذه الظّاهرة قد تناولها العلماء العرب منذ القِدَم وأعطوْها حقّها من التّحليل والتّمحيص فلا يكاد يخلو مُصنَّفٌ في النّحو أو البلاغة من حضورها المُكثّف، كما يجب أن نُنَوِّه هاهنا بأنّ الغرض من هذا البحث هو تبيان تجذُّر هذه القاعدة التّحويليّة "الحَذْف" في التّراث اللّغوي العربي وليس الغرض منه الاستنقاص من حجم هذه النّظريّة التي

حقّقت من النّجاح ما لا يخفى على أحد، وقد تكون أفادتْ لغات أخرى من حيث معالجتها لهذه الظّاهرة، أمّا اللّغة العربيّة فعلى ما يبدو أنّه ما مِن جديد يمكن إضافته لها بهذه الطّريقة التي قدّمَتْها هذه المدرسة، وفيما يخصّ الرّموز الرّياضيّة ومحاولة رَبْطِها بالدّرس اللّغوي فنرى أنّ هذا الأمرَ قد يزيدُه تعقيدًا وإشكالاً رغم ما فيه من العلميّة؛ إذْ الغرض في البحث هو تسهيل عمليّة الفهم والتّحليل لا العكس.

قائمة المصادر والمراجع:

1. حليمة أحمد عمايرة، الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء–دراسة تحليليّة–في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنّشر والتّوزيع_ الأردن_ عمان (ط1: 2006م).

2. نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، عالم المعرفة–المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب–الكويت(1978م).

3. ميشال زكريا، الألسنيّة التّوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة (الجملة البسيطة)، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2(1406هـ–1986م).

4. أبو عبد الله بدر الدّين محمّد الزّركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركائه ط1(1376هـ_1957م)، ج2.

5. نوم جومسكي، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، البنى النّحويّة، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد (ط1:1987).

6. هدى صلاح رشيد، تأصيل النّظريّات اللّسانيّة الحديثة في التّراث اللّغويّ عند العرب، دار الأمان (منشورات الاختلاف ومنشورات ضفاف) ط1 (1436هـ2015م).

7. عمرو بن بحر أبو عثمان_الجاحظ، الحيوان، دت، دار الكتب العلميّة بيروت ط2 (1424هـ)، ج1.

8. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، دت ط4، ج24.

9. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان _الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر أبو فهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة المدني _القاهرة، ودار المدني بجدّة ط3(1413هـ–1992م).

10. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النّحاس، ت: بسّام عبد الوهّاب الجابي، عُمدة الكتاب، دار ابن حزم_الجفان والجابي للطباعة والنّشر، ط1(1425هـ–2004م).

11. حافظ إسماعيلي علوي وأمحمد الملاخ، قضايا ابستومولوجيّة في اللسانيات الدار العربيّة للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1(1430هـ_2009م).

12. محمد علي الخولي، قواعد تحويليّة للغة العربيّة، دار الفلاح للنشر والتوزيع–الأردن، ط1999.

13. عمرو بن عثمان بن قنبر _سيبويه، ت: عبد السّلام هارون، الكتاب، مكتبة الخانجي_القاهرة، ط3(1408هـ-1988م)، ج1.

14. عبدُه الرّاجحي، النّحو العربي والدرس الحديث، دار النّهضة العربيّة للنّشر والتّوزيع-بيروت(د.ط)،1979م.

الهوامش:

(1) _ ينظر: نوم جومسكي، البنى النّحويّة، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد (ط1:1987م)، ص05.

(2) _ ينظر: هدى صلاح رشيد، تأصيل النّظريّات اللّسانيّة الحديثة في التّراث اللّغويّ عند العرب، دار الأمان (منشورات الاختلاف ومنشورات ضفاف) ط1 (1436هـ-2015م) ص355.

(3) _ حليمة أحمد عمايرة، الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء-دراسة تحليليّة-في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنّشر والتّوزيع_الأردن_عمان (ط1: 2006م)، ص52.

(4) _ تشومسكي، البنى النّحويّة، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، مرجع سابق، ص06.

(5) _ تشومسكي، البنى النّحويّة، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، مرجع سابق، ص124.

(6) _ ينظر: تشومسكي، البنى النّحويّة، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، مرجع سابق، ص06.

(7) _ هدى صلاح رشيد، تأصيل النّظريّات اللّسانيّة الحديثة في التّراث اللّغويّ عند العرب مرجع سابق، ص357.

(8) _ نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، عالم المعرفة-المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب-الكويت(1978م)، ص92.

(9) _ حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة_دراسة تحليليّة نقديّة في قضايا التلقي وإشكالاته_، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1(2009م)، ص260.

(10) _ تشومسكي، البنى النّحويّة، مرجع سابق، ص17.

(11) _ هدى صلاح رشيد، تأصيل النّظريّات اللّسانيّة الحديثة في التّراث اللّغويّ عند العرب مرجع سابق، ص357.

(12) _ ينظر: هدى صلاح رشيد، تأصيل النّظريّات اللّسانيّة الحديثة في التّراث اللّغويّ عند العرب، مرجع سابق، ص359.

(13) _ ينظر: حافظ إسماعيلي علوي وأمحمد الملاخ، قضايا ابستومولوجيّة في اللسانيات

الدار العربيّة للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1(1430هـ-2009م)، ص79 ص80.

(14) _ حليمة أحمد عمايرة، الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء-دراسة تحليليّة-في ضوء المناهج المعاصرة، ص51.

(15) _ ينظر: عبدُه الرّاجحي، النّحو العربي والدرس الحديث، دار النّهضة العربيّة للنّشر والتّوزيع-بيروت(د.ط)،1979م، ص117.

(16) _ حليمة أحمد عمايرة، الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء-دراسة تحليليّة-في ضوء المناهج المعاصرة، مرجع سابق، ص52.

(17) _ محمد علي الخولي، قواعد تحويليّة للغة العربيّة، دار الفلاح للنشر والتوزيع-الأردن ط1999، ص7.

(18) _ ينظر: تشومسكي، البنى النّحويّة، مرجع سابق، ص17.

(19) _ ميشال زكريا، الألسنيّة التّوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة (الجملة البسيطة) المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2(1406هـ-1986م)، ص09.

(20) _ ينظر: تشومسكي، البنى النّحويّة، مرجع سابق، ص19، ص20.

(21) _ هدى صلاح رشيد، تأصيل النّظريّات اللّسانيّة الحديثة في التّراث اللّغويّ عند العرب مرجع سابق، ص408.

(22) _ ميشال زكريا، الألسنيّة التّوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة (الجملة البسيطة) مرجع سابق، ص12.

(23) _ ميشال زكريا، الألسنيّة التّوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة (الجملة البسيطة) مرجع سابق، ص12.

(24) _ حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجيّة في اللّسانيات، الدار العربيّة للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1(1430هـ-2009م)، ص92.

(25) _ ينظر: أحمد سليمان ياقوت، في علم اللّغة التّقابلي-دراسة تطبيقيّة-، دار المعرفة الجامعيّة، ط1985، ص38.

(26) _ حليمة أحمد عمايرة، الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء-دراسة تحليليّة-في ضوء المناهج المعاصرة، مرجع سابق، ص53.

(27) _ ينظر: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة_دراسة تحليليّة نقديّة في قضايا التلقي

وإشكالاته_، حافظ إسماعيلي علوي، مرجع سابق، ص264.

(28) _ ينظر: تشومسكي نقلا عن: هدى صلاح رشيد، تأصيل النّظريّات اللّسانيّة الحديثة في التّراث اللّغويّ عند العرب، مرجع سابق، ص395.

(29) _ حليمة أحمد عمايرة، الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء–دراسة تحليليّة–في ضوء المناهج المعاصرة، مرجع سابق، ص54.

(30) _ ينظر: عبدُه الرّاجحي، النّحو العربي والدرس الحديث، مرجع سابق، ص149.

(31) _ حليمة أحمد عمايرة، الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء–دراسة تحليليّة–في ضوء المناهج المعاصرة، مرجع سابق، ص223.

(32) _ عبدُه الرّاجحي، النّحو العربي والدرس الحديث، مرجع سابق، ص150.

(33) _ عبدُه الرّاجحي، النّحو العربي والدرس الحديث، مرجع سابق، ص150.

(34) _ عبدُه الرّاجحي، النّحو العربي والدرس الحديث، مرجع سابق، ص150.

(35) _ هدى صلاح رشيد، تأصيل النّظريّات اللّسانيّة الحديثة في التّراث اللّغويّ عند العرب مرجع سابق، ص399.

(36) _ ينظر: تشومسكي، البنى النّحويّة، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، مرجع سابق، ص52.

(37) _ عمرو بن بحر أبو عثمان _الجاحظ، الحيوان، دت، دار الكتب العلميّة_بيروت ط2(1424هـ)، ج1، ص64.

(38) _ عمرو بن عثمان بن قنبر _سيبويه، الكتاب، ت: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي_القاهرة، ط3(1408هـ–1988م)، ج1، ص19.

(39) _ ينظر: سيبويه، الكتاب، نفس المرجع، ج1، ص19.

(40) _ سيبويه، الكتاب، ن م، ج2، ص39.

(41) _ سيبويه، الكتاب، ن م، ج2، ص115.

(42) _ أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، دت، ط4 ج2، ص362.

(43) _ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان _الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر أبو فهر دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة المدني _القاهرة، ودار المدني بجدّة ط3(1413هـ–1992م)، ص146.

(44) _ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النّحاس، ت: بسّام عبد الوهّاب الجابي، عُمدة الكتاب، دار ابن حزم_الجفان والجابي للطباعة والنّشر، ط1[1425هـ-2004م]، ص 292.

(45) _ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ج2، ص362.

(46) _الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص147.

(47) _ ينظر: ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ج2، ص363، ص364.

(48) _ سيبويه، الكتاب، مرجع سابق، ج1، ص141.

(49) _ أبو عبد الله بدر الدّين محمّد الزّركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركائه ط1(1376هـ_1957م)، ج2، ص274.

(50) _ ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ج2، ص372، ص373.

(51) _ ابن جني، الخصائص، ن م، ج2، ص383.

(52) _ ينظر: أبو عبد الله بدر الدّين محمّد الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق ج3، ص106.

(53) _ الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص163.

(54) _ ابن جني، الخصائص، ن م، ج2، ص375.